تمظهرات البوليفونية في رو اية "اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" لـ:بشير مفتي

Polyphony manifestations inBachirMoufti's novel "Mixing of Seasons or the Great Feast of Murder"

أمال بن جامع [1،*]، عثمان رواق [2]

[1] جامعة سكيكدة (الجزائر) amelbendjama23@gmail.com

[2] جامعة سكيكدة (الجزائر) o.rouag@univ-skikda.dz

مخبرالتراث الأدبي الرسمي والهامشي.

تاريخ الإيداع: 2021/04/28 **تاريخ المراجعة**:2021/07/03 **تاريخ النشر**: 2021/09/30

ملخص:

احتلت الرواية المتعددة الأصوات(البوليفونية) في الآونة الأخيرة مكانتها المهمة في الأدب الحديث، حيث عالجها الناقد والمنظر الروسي "ميخائيل باختين" في العديد من أبحاثه كاشفًا جماليتها وأسلوبها، سعت البوليفونية لتخلص من أحادية المنظور والصوت؛ فتميزت بتعدد المنظورات السردية ووجهات النظر،وتعدد الضمائر والشخوص التي لها حرية التعبير عن مواقفها الايديولوجية والفكرية، نروم في هذا المقال إلى تلمس مواطن البوليفونية وتجلياتها في رواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى) لبشير مفتي، لما تتمتع به هذه الرواية من تعددية فكرية ايديولوجية تؤهلها لأن تكون رواية بوليفونية بامتياز.

الكلمات المفتاحية: البوليفونية، تعدد الأصوات في الرواية،ميخائيل باختين،بشير مفتي، إيديولوجيا، حوار.

Abstract: *When the Russian critic and theorist "Mikhail Bakhtin" addressed it in many of his researches revealing its aesthetics and style. Polyphony seeks toto get rid of the singular view and the voice, as it was characterized by the multiplicity of narrative perspectives and points of view, and the multiplicity of consciences and characters who had the freedom to express their ideological and intellectual positions. In this article, we aim to touch upon the origins of the polyphony and its manifestations in BachirMoufti's novel "The Mixing of Seasons or the Great Feast of Murder," because of the ideological plurality of this novel that qualifies it to be a polyphonic novel par excellence.*

Key words*: polyphony، polyphony in the novel،Mikhail Bakhtin، Bashir Muft، Ideology، dialogue*

* المؤلف المراسل

أولا:تقديم:

تُعد الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي انفتحت على مبدأ الحوارية، الذي يعود فضل توظيفه وبروزه إلى أعمال ميخائيل باختين، المبدأ الذي جعله يطبع الكلام البشري والوجود الإنساني ككل، يحرص باختين على أصباغ الطابع الحواري على كل ظاهرة يتناولها بالدراسة، وإلى جانب مبدأ الحوارية أتى بمصطلح خاص بالرواية هو تعدد الأصوات"**polphonie**"؛ هذا الأخير الذي يتكئ على عرض مختلف التصورات عبر كثرة الأصوات، وتعدد الرؤى والأساليب وكذلك من خلال التفاعل بين مختلف الشخصيات.

إنّ الرواية الكلاسيكية ذات البناء الفني التقليدي أحادية الأصوات نجدها تعتمد على صوت واحد هو المهيمن على العمل الروائي؛ بحيث نجد القارئ لا يصغي إلا لهذا الصوت المسيطر على هذا العمل الروائي، أما فيما يخص الرواية المتعددة الأصوات فتتباين فيها الأصوات، وتتعدد الذوات المتخاطبة داخل الخطاب الروائي والتي بدورها تتعدد الإيديولوجيات؛ بتعدد الأصوات السردية التي تفرضها المتغيرات الموسومة سلفًا من قبل الروائي، فباختين يرى أنّ: "الرواية تنوع اجتماعي للغات وأحيانا للغات والأصوات الفردية، تنوعًا منظمًا أدبيًا؛ أي أنها تستند إلى تعدد الملفوظات الحوارية والتناصية"[1]؛ من هنا أخذت الرواية حيزًا هامًا في العصر الحديث بانفتاحها على مختلف الأجناس الأدبية، فالرواية هي المجال التي يُجسد فيها الحوار، لهذا نجد "ميخائيل باختين يُعلي من شأنها على حساب نظيرها المونولوج، على أساس أنّ الكون بأكمله قائم على الحوار ولهذا استخلص من الحوار مصطلح الحوارية، فقد اتخذت معظم الروايات الجزائرية من حوارية باختين مسلكًا لهم، استمدّوا من هذا الواقع أفكارهم المختلفة اعتمادًا على أحداث مضت وانقضت.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دلالات الأصوات في الرواية الجزائرية (رواية اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى) لدكتور (بشير مفتي)أنموذجًا، تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على الأبعاد البوليفينية- المبدأ الحواري- لميخائيل باختين وتعدد الأصوات داخل المتن الروائي، الرواية الجزائرية كعيّنة ومختلف الأيديولوجيات داخل النص، وكذا بوصف الرواية المرآة للتعبير عن محتوى هذا الواقع بكل أبعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية.

اعتمدت الدراسة على إتباع بعض إجراءات المنهج البينوي، وكذا بعض مفاهيم التعدد الموضوعاتي لمعاينة بعض الحقول الدلالية للمضامين في عملية تحليل النص الروائي، وذلك لقدرة المنهج على مقاربة تعدد الأصوات، وتعدد الشخصيات الروائية ورؤيتها،وبالتالي فإنّ الاشتغال على آلية المنهج البينوي يُعين علينا كشف عوالم المجتمع ورصد الأبعاد النّفسية على الشخوص.

فمن خلال تصفحنا للرواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى)، وجدنا ذلك التباين اللغوي والثقافي المتجسد فيها، فرصدنا كيف تجلت تلك الأنماط الحوارية الموجودة، والتي يمكن توظيفها في دراسة النصوص وتحليل الخطابات بكل أنواعها وأشكالها.

ثانيا .مفهوم البوليفونية أو تعدد الأصوات:

نقصد بالبوليفونية (**Poliphonie/poliphony**) –لغة- تعدد الأصوات:«تعدد الذوات القائمة بالتلفظ داخل الخطاب»2 تلك الذوات التي تكون متساوية في الحقوق والمستقلة نسبيًا عن صوت المؤلف،«وقد أخذ هذا

المصطلح من عالم الموسيقى، ليتم نقله إلى حقل الأدب والنقد. ومن ثم، فالمقصود بالرواية البوليفونية تلك الرواية التي تتعدد فيها الشخصيات المتحاورة، وتتعدد فيها وجهات النظر، وتختلف فيها الرؤى الإيديولوجية»3؛ بمعنى أنها رواية حوارية تعددية، حيث تتحرر بشكل من الأشكال من سلطة الراوي المطلق، وتتخلص أيضا من أحادية المنظور واللغة والأسلوب.

تعدد الأصوات مفهوم يُشير إلى: «تعدد الأيديولوجيات في الرواية، أما نقيض ذلك هو الذي ترفضه نظرية باختين، هو مفهوم أحادية الصوت الذي يُشير إلى إيديولوجيا واحدة سائدة في الرواية وبمثاله مفهوم المناجاتية حيث يخلق رواية أحادية الصوت هب نفسها الرواية المناجاتية أو المنولوجية»4؛ فتعدد الأصوات في الرواية هو تلك الايديولوجيات المتصارعة داخلها، وهو مناقض تمامًا لما جاء به باختين بأحادية الصوت أي أحادية الايديولوجيا.

شكلت الرواية مجالاً خصبًا لهؤلاء الباحثين وغيرهم لكشف تجليات البوليفينية، فالرواية المتعددة الأصوات هي رواية حوارية تعددية؛ أي أنها تتسم بتعدد وجهات النظر والرؤى الإيديولوجية بتعدد الشخصيات المتحاورة، التي يتم تجسيد البوليفينية من خلال العلاقة الضمنية بين الكاتب وشخصياته والأصوات المجهولة التي تعمل التصريح بأشياء على لسان المؤلف دون الإعلان عن نفسها.

تتحرر الرواية المتعددة الأصوات من أحادية المنظور واللغة والأسلوب؛ أي أنها تتحرر من سلطة المؤلف(الكاتب)، هذا ما يفتح المجال لشخصيات لتعبير عن نفسها ومواقفها وتوجهاتها بكل استقلالية وحرية، فلكل شخصية خصوصيتها في التعبير عن نفسها وسردها للحدث الروائي بأسلوبها وطريقتها.

إذا كانت الرواية المنولوجية ذات صوت إيديولوجي واحد، تعتمد على السارد المطلق العارف بكل شيء، وتستند إلى سارد واحد، ورؤية سردية واحدة، ولغة واحدة، وأسلوب واحد، وإيديولوجية واحدة، فإنّ الرواية البوليفونية رواية متعددة الأصوات على مستوى اللغة والأساليب والمنظور السردي والإيديولوجي، وكذلك من حيث الشخصيات، وتطرح أفكارًا متناقضة جدليا، كما تعطي المتلقي هامشا من الحرية والاستقلالية، لكي يختار الموقف المناسب الذي يتلاءم مع قناعاته وثقافته ومعتقده، وهو ما جسده الكاتب في الكثير من الحالات من خلال تركه فراغا ليملأه قارئه.

غالبا ما «تتحدد بوليفونية الرواية من خلال وجود تنوع في المنظور الإيديولوجي لذا، يرى أوسبنسكي (**Uspenski**) بأنّ الرواية البوليفونية تمتاز بمجموعة من الشروط وهي:

1- عندما تتواجد عدة منظورات مستقلة داخل العمل.

2- يجب أن ينتمي المنظور مباشرة إلى شخصية ما من الشخصيات المشتركة في الحدث؛ أي بعبارة أخرى ألا يكون موقفا إيديولوجيا مجردا من خارج كيان الشخصيات النفسي.

3- أنَّ يتضح التعدد المبرز على المستوى الإيديولوجي فقط، ويبرز ذلك في الطريقة التي تقيم بها الشخصية العالم المحيط بها»5؛ فالشخصية هي الراصدة لهذا التعدد على مستوى النص مبرزًا ايديولوجيتها.

تُعد البوليفينية "**Polyphonie**"إلى جانب "**Dialogisme**" من أهم المفاهيم التي ناقشها ميخائيل باختين منذ1930م ضمن التصور اللساني الاجتماعي، واللسانيات التداولية، أو ضمن أسلوب الرواية، وما يلاحظ على باختين أنه استعمل المفهومين بالمعنى نفسه، ولم يميزهما بشكل دقيق؛ مما جعل الباحثين بعده يستعملون

المصطلحين معًا في كتاباتهم بالدلالات الباختينية نفسها، فضل البعض البوليفينية واختار الآخر الحوارية، بيد أنّ هناك من ميز بينهما، كما هو الشأن "مدرسة جينيف" التي استعملت الديالوجية (الحوارية)في مقابل المونولجية"**Monolgue**" واستخدمت البوليفينية(تعدد الأصوات) في مقابل المونوفونية (الصوت الواحد)6.

يعرف ميخائيل باختين الرواية البوليفونية بقوله:« إنّ الرواية المتعددة الأصوات ذات طابع حواري على نطاق واسع وبين جميع عناصر البنية الروائية، توجد دائما علاقات حوارية؛ أي إن هذه العناصر جرى وضع بعضها في مواجهة البعض الآخر، مثلما يحدث عند المزج بين مختلف الألحان في عمل موسيقي؛ حقا «إن العلاقات الحوارية هي ظاهرة أكثر انتشارا بكثير من العلاقات بين الردود الخاصة بالحوار الذي يجري التعبير عنه خلال التكوين، إنها ظاهرة شاملة تقريبا، تتخلل كل الحديث البشري وكل علاقات وظواهر الحياة الإنسانية، تتخلل تقريبا كل ماله فكرة ومعنى» 7؛ أي أن الرواية البوليفينية تقوم على الطابع الحواري بين شخوص المدونة، هذا ما يجعل منها مزيج هاته الأصوات داخل الرواية.

«إنّ النص المتعدد الصوت ليس له إيديولوجية خاصة، لأنه ليس له موضوع إيديولوجي انه بمثابة جهاز تعرض فيه الإيديولوجيات نفسها وتستهلك ذاتها أثناء المواجهة»8، أي أن الرواية البوليفينية لا تقوم على إيديولوجية واحدة تعبر عن موقف الكاتب حول قضية ما، بل تعبر هن إيديولوجيات لشخصيات متعددة في الرواية، حيث لا تنتصر إيديولوجيا على أخرى بل تصبح جميعها متساوية .

ثالثا.تجليات التعدد الصوتي في رواية اختلاط المواسم أووليمة القتل الكبرى.

تحوي الرواية البوليفونية مجموعة من الشخصيات أو الأصوات التي تتصارع فيما بينها فكريًا وإيديولوجيًا، وبهذا فهي تملك أنماطًا من الوعي المختلف عن وعي الكاتب وأيديولوجيته الشخصية؛ أي أنّ الشخصيات في الرواية البوليفونية تتمتع باستقلال نسبي، ولها الحرية الكاملة في التعبير عن عوالمها الداخلية والموضوعية، ولها الحق في الكلمة الحقة والصريحة التي قد تتعارض وذلك بشكل من الأشكال، مع كلمة المؤلف أو السارد أو البطل الموجه من قبل الكاتب، وبهذا يكون دويستفسكي هو:" خالق الرواية المتعددة الأصوات (**Polyphone**).

يمكن اعتبار أنّ رواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى) تُعد نموذجًا جزائريًا مُتميزًا للرواية البوليفينية القائمة على تعدد الأصوات والمنظورات والرؤى الايديولوجية، فالقارئ هو من يختار موقف الشخصية التي يميل إليها وتنسجم ومواقفه وتطلعاته الخاصة، تزخر الرواية بعدد من الموضوعات من قُبيل: جدلية الموت والحياة، صراع الذات مع الموضوع، اغتراب الروح، نشوة القتل، الحرية والنضال، العشرية الدموية، والجنس...، فهي رواية تأسست على استرجاع الزمن الضائع من خلال استحضار أحداث العشرية السوداء على الساحة وما يستشف من أدوار الشخوص.

فالرواية البوليفينية تمنح دورًا هامًا للبطل، فهي "توغل في التوتر الحاد لإحساس الشخصية وتصوير أفكارها، وتتعمق في النفاد إلى التناقضات الداخلية للإنسان، فبطل دوستويفسكي لا يتضح جوهره إلاّ من خلال قيمة المعاناة والاهتزازات الروحية"9؛ أي أن الرواية البوليفينية تفتح المجال لصوت البطولة التعبير عن كينونتها وما تعايشُه من هزائم وانكسارات.

أعطى الكاتب الحرية للشخصيات للتعبير عن مواقفها دون تدخل منه ولا ترجيح كفة على أخرى، فشخصية البطل القاتل المتلذذ بنشوة القتل تختلف عن شخصية سعيد وشخصية سميرة قطاش، كما يُشير المؤلف بكل حياد وموضوعية مُبرراتهم وكدا مواقفهم ويشترك بذلك المجال للقارئ لكي يحكم على الشخوص.

ويمكن رصد أهم شخصيات رواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى) بتتبع مصائرها وتعبيرها عن ذاتها من منطق فكري إيديولوجي يحمل ملامح كل منها:

شخصية القاتل: شخصية محورية احتلت حيزًا كبيرًا في الرواية، فقد كان صوتهمفتتح الرواية

وختامها، وهو شخصية متشائمة له طموحات دموية بطل غريب يتلذذ بالقتل وله نظرة سوداوية للحياة منذ صغره يقول في متن الرواية: «لعلّي كنت هكذا منذ الصغر بروح كثيفة السواد»10؛ فهوسُه وإحساسه بالقتل منذ الصغر هذا الهوس الذي أصبح حالة وجودية تطفئ ما بداخله من عطش القتل ونشوته، فأول جريمة كانت بقتله قطة أمه في سن13عشر، قرأ الجريمة والعقاب لدويستوفسكي غير أنه لم يشعر بالذنب هذا ما جعله مختلفًا عن البطل يقول: «ها هو القاتل يشعر بتأنيب الضمير، الشيء الذي لم أكن لأشعر به أنا لو فعلت جريمة من هذا النوع»11؛ يرصد لنا هذا المقطع معترفًا بلحظة تعطشه للقتل والدموية، ورغم ارتكابه الجرم لم يشعر بالذنب والنّدم هذا ما جعله يختلف عن بطل رواية "الجريمة والعقاب"

يرصد القاتل فترة العنف الإرهابي الفترة التي يجد فيها جوّهُ الملائم، فأجواء الموت والقتل تُثير غرائزه، فيترك الجامعة ويلتحق بسلك الأمن أين يجد ضالته في ممارسة هوايته دون أي إحساس بتأنيب الضمير، كان اهتمامه الوحيد منصب في القتل وشعوره بالسعادة والمتعة والتلذذ فيه، يحاول القاتل التقاعد بعد انقضاء سنوات العشرية السوداء وتنتهي الرواية بتلقيه اتصال للعودة لمهمة القتل.

شخصية سعيد: شخصية المثقف المناضلة وأستاذ جامعي اتخذ من الكتابة النقدية وسيلة وسلاح في حربه ضدّ السلطة السياسية في الجزائر، صوت كسر الطابوهات ووقف ندًّا لند والسلطة الفاسدة يقول في متن الرواية: «كُنت أكتب بشراهة عن قناعاتي، وأنّ هذا البلد هو أمانة في رقابنا ولن نترك الفاسدين يحكمونه أو يسرقونه أو يحطمون كل ما ناضلنا سنوات طوال لأجله»12، تتحول حياته إلى قلق وإزعاج وخوف بعد فراق زوجته وخيانته لها، فاشتدت لغة خطاباته السياسية اتجاه ما يحدث في البلاد من فساد وعنف وموت؛ «كنت أرفع صوتي عاليًا حتى يسمع كلامي كل من يكون حاضرًا.. إنّ صادق سعيد لن يخون ولن يبيع... كنت أرفع من سقف حريتي إلى الأعلى وأنا أدرك في صميم قلبي من فراق سارة وذهابها بعيدًا عنّي..»13، يتم اقتياده من طرف رجال يرتدون سترات سوداء، وبهذا تنتهي مسيرته النّضالية،و يكمل أيام حياته بمشفى الأمراض العقلية بانتحار رفيقه فاروق.

فاروق طيبي: صوت آخر يمثل صوت شاب مثقف من ولاية المدية من بلدية السواقي، انتقل إلى العاصمة للدراسة بالجامعة بعد عيشه في بلدية بني سليمان، انجز رسالة دكتوراه في الأدب حول (مفهوم الرواية عند كونديرا بين التنظير والممارسة)، تعرف على صديقه صادق سعيد جمعهما حبهما الكبير للأدب والفلسفة، شخصية تعيش حالة كآبة وحزن كبيرين، نتيجة قصة حبه الفاشلة مع سميرة فخيبة أمله كبيرة وكدا انكساره، يجد في البحر متنفسه الوحيد للهدوء والسكينة.

تتوالى هزائمه بخيانة صديقه سعيد يقول:«اللعنة عليك يا صادق سعيد دائما تتدخل في الأشياء التي تخصني، كأنني مجبر على أن أكون ظلّك التابع بالفعل»14، يقدم على وضع حد لحياته بانتحاره بعد انهياره نفسيًا وعقليًا.

سميرة قطاش: شابة مثقفة وأستاذة جامعية جميلة الملامح صوت مهم داخل الرواية، فتح باب السرد الرابع متحدثة عن حياتها العائلية والاجتماعية، بعد طلاق أمها وفرار أبيها إلى فرنسا وطلاق أختها الكبيرة، مثال المرأة المناضلة المكافحة الناجحة، دفعتها ظروفها للبحث عن استقلالها وحريتها بعيدًا عن المسؤولية؛ فهي ترى أن سعادتها تكمن في حريتها تقول: «هل تحقيق حريتي هي التي تسعدني في الحياة؟ وما هي نوعية السعادة التي تأتي من الحرية»15؛ تواصل سميرة حديثها بإسهاب في رصد حياتها الاجتماعية، وواقعها الذي جعلها تتحرر من قيود المجتمع لتكسر طابوهاته وتعيش بحرية دون قيود.

تتحول في نهاية الرواية إلى شخصية مهزومة وصوت استسلامي؛ بعد قصة حبها الفاشلة مع صادق سعيد، جعلها ذلك تنتقم بتعرفها على صديقه فاروق طيبي الذي منحته جسدها فقط؛ فعذبته بدل مبادلته نفس المشاعر، تهرب نحو مدينة تيزي وزو بعد أن أصبحت حياتها تعيسة حزينة تشعر بالإهانة بعد أن نال الرجال من جسدها بحثًا عن اللّذة، تنتهي حياتها على يد القاتل الذي يُحررها من الإحباط والتذمر فكان بمثابة المنقذ لها، فالموت هو السبيل الوحيد لتخلصها من هذه الآلام وغربة الروح، لترحل رحيلاً هادئًا شاعريًا رومنسيًا مأساويًا بجرعات سم قاتل في كوب ماء.

الضابط الأمني: شخصية ثانوية ساعدت في تحريك الأحداث داخل المتن الروائي، رجل في العقد الخامس قصير القامة، كان قريبًا من صوت القاتل وقائدًا له من بداية سرد الرواية لنهايتها، أسس (فرقة الموت)، بعد تركه لجهاز الأمن وكان القاتل البطل ضمن أعضائها مهمتهم قتل رجال ذات نفوذ مالي يقول: «سيكون عملنا هذه المرّة بمقابل سنحصل على مال كثير، من هذه الخدمات التي سنقدمها لرجال أغنياء»16، بعد انكشافها يرحل القاتل إلى تيزي وزو ليقتل ويتمتع بعيدًا عن فرقته، ليعود عمل الضابط وفرقته في نهاية الرواية باتصال هاتفي مع القاتل لعودة عملهم.

سارة حمادي: زوجة صادق سعيد كان صوتها ثانويًا، تنتهي حياتها الزوجية مع سعيد بعد حب كبير بخيانة زوجها لها، مع سميرة قطاش وتطلب الطلاق منه لترحل بعيدًا.

رشيد: شخصية مهمشة رغم مستواه الثقافي كونه أستاذ فلسفة، لقائه بسميرة قطاش هو الآخر كان بمثابة محطة عبور لها لا غير، يصطدم بكذبتها التي جعلته يتركها رغم حبه الكبير لها تقول: «لقد قلت له بأنني فقدت عذريتي في سن الثامنة عشر»17؛ يرصد لنا هذا المقطع على لسان حالها عبورها الشهواني مع رشيد الذي ينتهي بكشفها عن فقدانها لعذريتها.

سمسم: فتاة عاهرة ذكرت في بداية الرواية فقط تعرف عليها القاتل في ملهى ليلي، تجد سعادتها في إغواء الرجال والجلوس معهم، يقول القاتل: «في نحب عاهرة سعيدة بحياتها»18،يحاول القاتل التخلص منها وقتلها بعد إقامة علاقة غير شرعية معها هروبًا من هوسه بالقتل، لكنه يمتنع في كل محاولة دون معرفة السبب وتنتهي علاقتها في النص الروائي بعد ذلك.

رابعا:البعد الإيديولوجي للشخصيات:

تعتمد رواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى) على تعدد الأصوات وهذا ما يسمى بـ«تناوب الأبطال أنفسهم على رواية الوقائع واحدًا بعد آخر، ومن الطبيعي أن يختص كُل واحد منهم بسرد قصته، أو على الأقل سرد قصة مخالفة من زاوية النظر لما يرويه الرواة الآخرون»19؛ وهذا ما جسدته الرواية ذلك التلاحم بين شخوصها وتناوبهم في سرد أحداث الوقائع، كُل من منطلقاته وأفكاره حول القضية فجاءت الرواية متناغمة وأصوات الأبطال.

كل شخصية رئيسية تحمل وجهات نظر متعددة تختلف عن الرؤى الإيديولوجية، كما جاء في متن الرواية أنّ الشخوص كل منها قام بالإخبار عن حياة شخصية أخرى، وجميع الشخوص مُثقفة تقوم بسرد الحدث الروائي بطريقتها الخاصة؛ وهذا ما نسميه الرواية البوليفينية التي تأخذ فكرة معينة، أو تردُ تلك الفكرة على لسان البطل أو الشخصيات المحورية داخل المتن الروائي.

تظهر الرؤية الإيديولوجية وهي رؤية مخالفة ومغايرة للمجتمع، فعالم البطل الذي يعيش فيه- ينظر القاتل إلى الشّر على أنهالأصل ولا وجود للقيم الأخلاقية وتأنيب الضمير يقول: «لقد كان عندي يقين أنّ البشر أشرار بالفطرة، بل إنَّ فطرتهم شريرة»20، وكل الشخصيات الأخرى داخل الرواية تؤيدُ هذه النّظرة وتعتبرها صحيحة، بأنّ الشّر هو مصدر الحياة وأساسها، فوظف الروائي البعد الإيديولوجي على نطاق كبير لأنّ الرواية تتميز بالشكل البُوليفوني الذي يُقدم رؤى إيديولوجية، كما تبنى على صور الأفكار ويسعى الكاتب فيها إلى فسح المجال أمام وُجهات نّظر الشخوص المختلفة.

خامسا: التعدد على مستوى اللغة:

تمارس اللغة دورًا هامًا في عملية التواصل بين الشعوب والمجتمعات؛ إذ تُعد وعاءً حاملا للعقائد والأفكار والثقافة لمجتمع ما، وبهذا فقد بنى "ميخائيل باختين" نظرية الرواية على أساس لغوي عدّهُ: «التنوع الاجتماعي للغات، وأحيانًا للّغات والأصوات الفردية تنوعًا مُنظمًا أدبيًا»21؛ فالرواية عنده ما يقوله المتكلمون داخل الرواية، فيكشف بذلك طبيعة العلاقة القائمة بينهم، من خلال كلامهم وسلوكهم، فاللغة عنده ليست نسقًا جامدًا ولا بنية ثابتة.

غلب على رواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى) اللغة العربية الفصحى الرسمية، كما تخللها بعض اللغات غير الفصيحة وبعض اللهجات التي تكسر أحادية اللغة على مستوى النص.

أ اللغة العربية:

سبق وأن قلنا أنّ الرواية مكتوبة باللغة العربية الفصحى البسيطة القريبة إلى الفهم، لكن تخللت الرواية بعض اللغات العامية وحتى الأجنبية.

ب اللهجة العامية:

هذه اللهجات تمثل اللغة في جانبها الاستعمالي التداولي التي صارت محل اهتمام الباحثين؛ على اعتبار أنها من اللسانيات المرنة التي تزخر بالانزياحات والإشارات، فكان توظيفه للعامية يرتكز بالخصوص في الحوار مع الشخصيات ومن بينها في الرواية:

اللهجة الجزائرية: فقد تنوعت حسب المناطق التي ذكرها الراوي فالكاتب اعتمد لغة بسيطة يفهمها العوام، أمّا على مستوى التجريب فنجد توظيفًا لكلمات شعبية، وأمثال شعبية جزائرية وسط المتن السردي؛

وهو إن دل على شيء فإنما يدل على تشبع الروائي من تراث بلده وانفتاح روايته على أجناس أخرى، فمن الكلمات نُورد قوله مثلا: (دزينة، تكسار رأس، يخطبك في البار ... راكي مليحة في عقلك...).

كان الغرض منها نقل الأحداث كما هي إذ تنزع الكتابة الروائية الواقعية على نقل الواقع كما هو؛ حيث نقل لنا الراوي اللغة كما هي وسط ذلك المجتمع، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تشبع الكاتب بالثقافة الشعبية للمجتمع.

إنَّ تعدد اللغات واللهجات داخل المتن الروائي لرواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى)،بمثابة كسر لأحادية الصوت واللغة، فأصبح البناء اللغوي للرواية متعدد تتباين من خلالها عدّة دلالات، وثقافات المجتمع الذي نهل منه الكاتب موضوعه.

تتسم لغة الرواية بمجموعة خصائص كالإيحائية والشاعرية والرمزية، كما تضمنت مجموعة خطابات تناصيّة:

خطاب فلسفي: تضعنا الرواية في تساؤلات كثيرة كيف لا وهي تنطلق بمجموعة من الأسئلة« ما الحقيقة؟ ما الله؟ ما العدم؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما الشر؟ ما الخير؟ ما أكثر الأسئلة، وما أقل الأجوبة»22؛ إذ تنطلق من تجريب جديد يضعنا الكاتب أمامه.

أ- **خطاب الموروث الشعبي:**

أمثال شعبية نجد: "هنا يموت قاسي"، "عشرة لحياة نسيتها في لحظة" شوية دين وشوية حياة"، وهي أمثال مأخوذة من حياة المجتمع الجزائري التي تزخر بهذه الأمثلة والتي تعاش مع الجزائري يوميا.

ب- الخطاب السياسي:

ترصد الرواية على مدا صفحاتها الصراعات السياسية التي شهدتها الجزائر في العشرية السوداء- الدموية- واستبداد السلطة.

إنّ تعدد هذه الخطابات يُبرزُ:«أنّ الرواية قائمة على التناصية وتفاعل الأجناس الأدبية، والفنية وتلاقح اللغات واللهجات، ممّا جعل هذه الرواية تستجمع الأصوات الاجتماعية لتعبر بكل حرية وديمقراطية عن وجهات نظرها، مع حضور المتلقي والمؤلف الوهمي الذي أجبر على التنازل عن سلطته لراوي الرواة، والشخوص لتعبير عن عوالمها الداخلية ومواقفها تجاه الموضوع».[23]؛ إن تعدد الخطابات داخل متن الرواية هذا التفاعل النّصي جعل من الرواية تجمع العديد من الأصوات المتفاعلة داخلها معبرة عن نفسها بكل حرية عن القضايا المطروحة.

سادسا: خاتمة:

بعد الاطلاع على جملة الطروحات النظرية المقدمة حول البوليفونية، وكدا القراءة الممارسة لمضمون رواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى)، انتهينا إلى جملة من النتائج ليكن حصرها في النقاط الآتية:

يمرر الراوي في الرواية الإيديولوجيات عبر أساليب عدّة تُتيحتعدد الأصوات داخلها، فهذه الأساليب المتعددة لا تتيح هيمنة إيديولوجيا واحدة، وزاوية رؤية واحدة يفرضها الكاتب بل تمنح الحرية في التصادم فيما بينها داخل النص الروائي.

تخللت الرواية أجناس مختلفة ساهمت في جعلها موسوعة ثقافية وخليط من مواد متنافرة، وغير متجانسة شأنها في ذلك شأن الرواية الدوستويفسكية.

تعدّدت اللغات واللهجات في الرواية، فهي مؤشر على التباين الحضاري والثقافي الذي ترسب على مرّ الزمن في ذهن الروائي الجزائري.

رواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى) رواية التجريب التي يصبُوا إليها كل روائي معاصر، يكتب هاته الرواية الأطروحة التي تتخذ من الحياة الإنسانية تيمة لها .

التعدد الإيديولوجي داخل الرواية يفرض تعدد الخطاب من حيث اللغة، واللهجات والأساليب، وكدا الانفتاح على عدد من الأجناس الأدبية و الفنية، فالرواية المتعددة الأصوات تختلف عن المنولوجية التقليدية التي تقوم على أحادية الصوت والموقف واللغة.

سابعا: الهوامش:

[1]- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع،ط1، القاهرة، 1987م، ص11.

[2] - مصطفى المريقتن، تشكيل المكونات الروائية، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2001م، ص 163.

[3] - جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، شبكة الألوكةwww.ALUKAH.NETk، ص97.

[4]- ميخائل باختين:،شعرية دوستويفسكي: تر: ناصف التكريتي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 1986م، ص12.

[5] -B.Uspenski: Poetics of composition, traduction.CL.Kahn, Poétique9, 1972, P.10

[6]- جميل حمداوي، أنواع المقاربات البوليفينية في تحليل الخطاب والملفوظات والنصوص، متاح على www.almothaqaf.com.

[7] - ميخائيل باختين، شعرية دويستفسكي، تر: ناصف التكريتي ، ص59.

[8] - حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990م، ص 82.

[9]- ميخائل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، ص39.

[10]- بشير مفتي، اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، لبنان، 2019م، ص13.

[11]- الرواية، ص 21.

[12]- الرواية، ص126.

[13]- الرواية، ص 133.

[14]- الرواية، ص:15.

[15]- الرواية، ص 203.

[16]- الرواية، ص62.

[17]- الرواية، ص162.

[18]- الرواية، ص: .

[19]- فريال كامل سماحة، رسم الشخصية في رواية حنا مينة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1999، ص 33.

[20]- الرواية، ص 23.

[21]-ينظر ميخائل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل ناصيف، ص، 270.

[22]-الرواية، ص12.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1.بشير مفتي، اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، لبنان، 2019م.

ثانيا: المراجع:

1.حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990م.

2.فريال كامل سماحة، رسم الشخصية في رواية حنا مينة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1999.
3.مصطفى المريقتن، تشكيل المكونات الروائية، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2001م.
4.ميخائل باختين:،شعرية دوستويفسكي: تر: ناصف التكريتي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 1986م.
5.ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع،ط1، القاهرة، 1987م.
ثالثا: المراجع بالأجنبية:
B.Uspenski: Poetics of composition, traduction.CL.Kahn, Poétique9, 1972.
رابعا: المقالات:
1.جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، شبكة الألوكةwww.ALUKAH.NETk.
2.جميل حمداوي، أنواع المقاربات البوليفينية في تحليل الخطاب والملفوظات والنصوص، متاح على www.almothaqaf.com.